ثلاثُ مهام مطلوبة من المسلم المعاصر

لا شك أن المسلم المعاصر عليه واجبات كثيرة، بقدر ما يواجه من تحديات جسام ومطلوب منه مهمات متعددة، بقدر ما ينفتح أمامه من ثغرات، وما يوضع في طريقه من عقبات . .
ويمكن القول بأن ثلاثة مهام رئيسة مطلوبة بإلحاح من المسلم المعاصر، وعليه ألا يتباطأ في القيام بها.. وهي: احتضان التراث، والاشتباك مع الواقع، والتفاعل مع الآخر.
: احتضان التراث
التراث هو هويةُ الأمة التي تشكلت من خلالها، وجذورُها التي تمنح منها أسباب الحياة؛ فلا يمكن لأمة أن تستعيد ماضيها الذي تفخر به ولا أن تبني مستقبلها الذي تؤمله، وهي في حالة انقطاع حضاري عن تراثها.
ونعني بـ"احتضان التراث" هنا أربع خطوات أساسية:
_ الاعتزاز به، وعدم الخجل من إعلان ذلك.
_ استيعابه بكل أبعاده ومنجزاته، في مختلف العلوم والمجالات.
_ غربلته وتحديد الثابت فيه من المتغير، والأصول من الفروع، والصحيح من السقيم.
_ الإفادة منه والبناء عليه.
فالمسلم المعاصر ينبغي أن يتصل اتصالاً وثيقًا بتراثه؛ لغة وفكرًا وأدبًا؛ لأنه إن استجاب لمحاولات فصله عن هذا التراث، فلن يكون إلا مسخًا مشوَّهًا من تجارب الآخرين، ولن يفلح في إنجاز أي نهوض!
ومازال تراثنا قادرًا على العطاء، وسيظل ما كان متصلاً بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية؛ فهما مصدر التلقي والتوجيه للمسلم على اختلاف الزمان والمكان.
: الاشتباك مع الواقع
لا مناص للمسلم المعاصر من الاشتباك مع الواقع، والتفاعل معه؛ حتى يكون ذا تأثير وإسهام فيه؛ فليس من المعقول أن نطالبه بأن يتحلى بالفعَّالية والحيوية وهو منعزل عن محيطه، غير مدرك بواقعه؛ فكريًّا واجتماعيًّا، وبكل نواحيه المتشعبة.
لقد جاء الإسلام للحياة، ولا يمكن حصره بين جدران المساجد؛ بل إن الإسلام قد جعل المساجد لتكون محطات يتزود منها المسلم لحركته في الحياة، وليس لتعزله عن الحياة! قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة: 10).
وهذا الاشتباك الذي يراد للمسلم المعاصر يَفرض عليه أن يدرك مشكلات الواقع بدقة، وأن يرتب أولوياته فيه بعناية، وأن يفهم جيدًا معادلات الثوابت والمتغيرات، والأصول والفروع، والكليات والجزئيات، والفروض والنوافل؛ حتى لا تختلط الأوراق، وتتشوش المفاهيم؛ فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم!
: التفاعل مع الآخر

لا يستطيع أحد أن ينكر حالة التراجع الحضاري التي يعيشها العالم الإسلامي منذ قرون، وأن الآخرين قد سبقونا في مختلف مجالات الحياة، بآماد طويلة. وإذا استكان المسلم المعاصر لحالة التراجع هذه فسيظل على الهامش لا وزن له ولا تأثير؛ ولن يكون بإمكانه - حينئذ - أن يزعم أنه يعكس الصورة الدقيقة للإسلام الذي ينتمي إليه.

ومن هنا، فلا مفر من التفاعل مع الآخر، والإفادة من تقدمه، والبحث عن الحكمة فيما لديه. لكن من المهم أن ندرك الفرق بين ما يمثل هوية للذات وللآخر، _وفيه تقلّ مساحة النقل والاقتباس_ وما يمثل قاسمًا مشتركًا بين الأمم والحضارات، وهو مجال رحب للإفادة والتواصل.

هكذا فعل المسلمون إبان نهضتهم الأولى؛ فلم ينقلوا كل تراث الأمم السابقة عليهم، بل أخذوا ما يفيدهم ويتوافق مع ثوابتهم؛ مثل تدوين الدواوين، وعلوم الطب والفلك والرياضيات؛ دون الفلسفات والأديان، التي إذا انتقل شيء منها للعقل المسلم بعد ذلك أحدثت له إرباكًا شديدًا.

ولذا، ينبغي أن نقف موقفًا وسطًا بين دعوات الذوبانِ في الآخر، ونقْلِ كل ما لديه من "خير وشر، حلو ومر، ما نحب وما نكره"، كما كان طه حسين يدعو في مرحلة من مراحل حياته.. وبين دعوات الانغلاق، والانعزال، وعدم التعرف على الآخر والإفادة منه، وتسفيه منجزاته ..

مختصر من مقال :

أ . السنوسي محمد السنوسي .